

## المحاضرة (١)

معنى التفسير

تعريف آيات الأحكام

نشأة آيات الأحكام

مناهج التأليف في آيات الأحكام

عدد آيات الأحكام

طرق استنباط الحكم من الآية

منهج القرآن في عرض آيات الأحكام

### الأهداف العامة

- ١- التعرف على معنى التفسير ومفهوم من آيات الأحكام
- ٢- يتعرف الطالب على أهم الكتب المدونة في هذا العلم
- ٣- يتعرف الطالب على مناهج المؤلفين في آيات الأحكام
- ٤- يفهم الطالب منهجية وأسلوب القرآن في عرض آيات الأحكام
- ٥- التعرف على طرق استنباط الحكم من الآيات
- ٦- يطلع الطالب على آراء العلماء واختلافهم في عدد آيات الأحكام

التفسير من الفسر، والفسر هو البيان فسر الشيء أبانه. والفسر كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد من اللفظ المشكل<sup>١</sup>. وبمعنى الإيضاح والتبيين كما في قوله تعالى: "وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"<sup>٢</sup>

وفي الاصطلاح: "كشف معاني القرآن وبيان المراد، أعم من أن يكون بحسب بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره"<sup>٣</sup>. وعرفه الزركشي فقال: "التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ص وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"<sup>٤</sup>.

وفي المراد من تفسير "آيات الأحكام" أو "تفسير الفقهاء" أو "التفسير الفقهي": فقد عرّفه بعضهم بأنه "التفسير الذي يجمع آيات الأحكام الشرعية من القرآن الكريم ويفسرها في كتاب مستقل" أي أنه: "التفسير الذي يقوم على استنباط الأحكام من القرآن الكريم، واستخراج القواعد والاصول منه، وإبرازها في كتاب مستقل".

أو هي "الآيات التي ترتبط بالأحكام الفقهية والتكاليف العملية. فموضوع آيات الأحكام هي خصوص الآيات التي يستتبط منها حكم شرعي.

١- لسان العرب مادة فسر

٢- الفرقان: ٣٣

٣- الاتقان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٩٣.

٤- البرهان، ج ١، ص ١٣.

## ثانياً "النشأة التاريخية للتدوين في آيات الأحكام"

أول من دَوَّن في هذا العلم بصورة كتاب مستقل هو محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦) <sup>١</sup>. وهناك من عدَّ الشافعي من السابقين في التدوين <sup>٢</sup>. ثم استمر التأليف في هذا المجال. فمن الكتب القديمة "تفسير خمسمائة آية من القرآن" لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠). وفيما يلي مجموعة من الكتب المدونة في هذا الباب:

- ١- أحكام القرآن لأبي بكر الرازي الجصاص (ت ٣٧٠ هـ)
- ٢- أحكام القرآن للشافعي (ت ٢٠٤ هـ) جمع أبو بكر البيهقي (ت ٤٠١ هـ)
- ٢- أحكام القرآن، الكياهراسي (ت ٥٠٤ هـ)
- ٣- فقه القرآن، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ)
- ٤- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ)
- ٥- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي (ت ٦٧١ هـ)
- ٦- كنز العرفان في فقه القرآن فاضل مقداد السيوري (ت ٨٢٦ هـ)
- ٧- زبدة البيان، المقدس الأردبيلي (ت ٩٩٣ هـ)

## ثالثاً - مناهج التأليف في كتب آيات الأحكام

هناك منهجان في تدوين كتب آيات الأحكام. فبعض آيات الأحكام دونت حسب ترتيب سور القرآن (من سورة الحمد الى سورة الناس) مثل كتاب: "أحكام القرآن" للجصاص و"أحكام القرآن"

١- ابن النديم، الفهرست، ٥٧: ١

٢- السيوطي، الاتقان، ٣٥: ٤

لابن العربي من المتقدمين. و"أحكام القرآن" للسائس من المعاصرين. وهناك من اختار التأليف حسب ترتيب الأبواب الفقهية. حيث يُقسم الفقه -حسب الطريقة التقليدية- الى أربعة أقسام أساسية: العبادات، العقود، الإيقاعات ثم الأحكام والسياسات. فعلى سبيل المثال جاء في كتاب "فقه القرآن" للراوندي ترتيب آيات الأحكام في واحد وعشرين باباً، كما يلي: الطهارة، الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، الجهاد، الديون، الكفالات، الحوالات، الوكالات، القضايا، المكاسب، المتاجر، النكاح، الطلاق، العتق، الايمان، النذور، الكفارات، الصيد... وهذا هو المعمول عليه أيضاً في كتاب "آيات الأحكام" للفاضل المقداد و"زبدة الأحكام" للمحقق الاردبيلي. أي العمل حسب الترتيب الموضوعي الفقهي.

### رابعاً- عدد آيات الأحكام

القول المشهور في عدد آيات الأحكام هو ٥٠٠ آية. وقد نقل هذه الشهرة بعض العلماء<sup>(١)</sup>. بل أن بعض المؤلفين سمى كتابه بهذا الإسم مثل كتاب "مقاتل بن سليمان" الذي سمى كتابه "تفسير خمسمائة آية من القرآن". وهذا العدد هو بالمتكرر والمتداخل وإلا فهي لا تصل الى هذا العدد كما قال السيوري. وهناك من ذهب الى أن آيات الأحكام لا تنحصر بهذا العدد، بل تختلف باختلاف القرائح والاذهان وما يفتحه الله من وجوه الاستنباط على الشخص، ثم إنَّ طريق الاستنباط لا يقتصر على آيات القرآن الصريحة، بل يمكن استخراج الاصول والأحكام من الآيات الواردة في القصص والأمثال. وقد ذهب البعض الى أن عدد آيات الأحكام تسعمائة آية. وهناك من جعلها ثلاثمائة آية<sup>(٢)</sup>.

### خامساً: طرق استنباط الحكم من آيات الأحكام

هنالك طريقتان لاستنباط الحكم من القرآن:

١- كنز العرفان، السيوري، ج١؛ البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص ١٣٠

٢- دائرة معارف القرآن الكريم، ج١، ص ٣٤٨.

أولاً: ما يستتبط من غير ضمنية إلى آية أخرى، كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى: امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ<sup>(١)</sup>

ثانياً: ما يستتبط مع ضمنية آية أخرى، كاستنباط الإمام عليّ (ع) إن أقلّ الحمل ستة أشهر وذلك بجمع الآيتين: وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا<sup>(٢)</sup> مع قوله: وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ<sup>(٣)</sup>.

## سادساً: أساليب القرآن في عرض آيات الأحكام

اتخذ القرآن الكريم عدة أساليب في عرض وبيان الأحكام الشرعية، منها:

### ١- الاكتفاء بالعرض العام والإجمالي للأحكام

وهذا هو الأسلوب الغالب في القرآن. فقد ذكرت أكثر آيات الأحكام بصورة إجمالية غير مفصلة مثل الآيات المتعلقة بالصلاة والزكاة: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ"<sup>٤</sup>. وقد جاء حكم البيع وحرمة الربا في القرآن في بعض الموارد بصورة إجمالية كما في قوله تعالى: "وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا"<sup>٥</sup>.

### ٢- بيان تفاصيل وجزئيات الأحكام

كما جاء ذلك في الآيات المتعلقة بالمحرمات في الزواج قال تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ...<sup>٦</sup> وكما جاء ذلك في الآيات المتعلقة بالمواريث والطلاق.

١- التحريم: ١١.

٢- الأحقاف: ١٥.

٣- لقمان: ١٤.

٣- البقرة: ٤٣.

٤- البقرة: ٢٧٥.

٥- البقرة: ٢٣.

### ٣- ذكر القواعد الكلية للأحكام

علاوة على بيان الأحكام بصورة تفصيلية فإن القرآن ذكر في كثير من الأحيان القواعد العامة للأحكام والتي تشكل المبادئ والأصول التي ينطلق منها التشريع. وفيما يلي مجموعة من القواعد العامة للأحكام

#### ب-١) المسؤولية الفردية للأعمال

وقد جاء هذا الأصل مقررًا في عدة آيات:

منها قوله تعالى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى<sup>١</sup>. وهذه القاعدة تجري في الدنيا فلا يجوز قتل غير القاتل على سبيل المثال. وفي الآخرة، قال تعالى: "وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّلزَّمَنَاءِ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ"<sup>٢</sup>.

ب-٢) ومن القواعد العامة أيضا قاعدة الوفاء بالالتزامات وهي من القواعد التي يستنبط منها الكثير من الأحكام الجزئية. وقد استدل على هذه القاعدة بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ<sup>٣</sup> وغيرها من القواعد الأخرى.

### ٤- تفريق آيات الحكم الواحد في عدة سور

من أساليب القرآن في عرض الأحكام هو توزيع الحكم الواحد في سور متعددة؛ فمرة يذكر بصورة مجملة وأخرى فلم تأتي الأحكام كلها في سورة واحدة. وهذا ما ينطبق على جميع آيات الأحكام تقريبا فقد تفرقت أحكام الحج والزواج والعدة في سور متعددة. ومن هنا، فعلى المفسر أو الفقيه أن ينظر الى القرآن نظرة كلية فيعمد الى جمع تفاصيل وجزئيات الحكم الواحد من جميع السور التي ذكرت ذلك الحكم.

١- الانعام: ١٦٤

٢- الاسراء: ١٣

٣- المائدة: ١

## ٥- تعليل القرآن للأحكام

ومن خصائص القرآن في عرض الأحكام أنه لا يكتفي بعرضها دون التعرض لعللها والحكمة منها، حتى وإن كانت الأحكام تعبدية محضة كالصلاة والحج. فعلى سبيل المثال، عندما يأمر القرآن بالصلاة يذكر السبب الذي من أجله قام التشريع: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ<sup>١</sup>. وعندما كُتِبَ على المسلمين الصوم ذكر علة هذا التشريع فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ<sup>٢</sup>. وعندما شرع القصاص ذكر علة الحكم فقال: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ<sup>٣</sup>. وهكذا في أغلب الآيات التي ورد فيها الحكم.

## ٦- ربط الأحكام بالعقيدة والأخلاق

ومن أساليب القرآن في عرض الأحكام أيضا هو ربطها بالعقيدة كالإيمان بالله واليوم الآخر والأخلاق والأمر بالتقوى والوعد والوعيد والمصالح التي تترتب عليها كما ذكرنا ذلك في النقطة السابقة. كل ذلك من أجل تيسير التكليف وحمل المكلف على الاتيان بالحكم. فعلى سبيل المثال عندما ينهى القرآن عن الربا يقيدّه بالإيمان قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" وعندما يأمر ينهي عن أكل أموال اليتامى يقرن ذلك النهي بالوعد الشديد قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا<sup>٤</sup>

١- العنكبوت: ٤٥

٢- البقرة: ١٨٣

٣- البقرة: ١٧٩

٤- البقرة: ٢٧٩

٥- النساء: ١٠



## الأسئلة:

- ١- ما هي المناهج المتبعة في الكتب المدونة في آيات الأحكام؟
- ٢- ما هو المنهج الذي اتبعه القرطبي في تفسيره؟
- ٣- أذكر أربعة قواعد قرآنية تشكل مبادئ عامة للتشريع.
- ٤- هل ذكر القرآن الكريم علّة الحكم في آيات المتعلقة بالعبادات؟ وضح ذلك مستدلاً عليها بالآيات.
- ٥- اذكر نماذج من الآيات القرآنية يقترن فيها الحكم مع العقيدة والأخلاق

## بحوث وتقارير

- ١- من خلال كتاب البرهان في علوم القرآن اذكر اختلاف العلماء في عدد آيات الأحكام.
  - ٢- اكتب تقريراً مختصراً تبين فيه منهج السيوري في كتاب "كنز العرفان" وما هي الأبواب التي تناولها في كتابه؟
  - ٣- اكتب بحثاً مختصراً عن " آيات الإرث في القرآن " تجمع فيه ما تفرق من آيات في القرآن الكريم
  - ٤- اكتب بحثاً مختصراً عن " آيات العدة في القرآن " تجمع فيه ما تفرق من آيات في هذا المجال.
  - ٥- اكتب بحثاً مختصراً عن "منهج التعليل في آيات الأحكام" تذكر فيه علّة وملاكات الحكم الشرعي
  - ٦- اكتب تقريراً مختصراً عن الكتب التالية:
- أ- كنز العرفان للسيوري تتناول فيه المؤلف وعصره وكتابه ومنهجه

ب-روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، تذكر فيه المؤلف ومنهجه والآيات التي تناولها

ت-أكتب تقريراً مختصراً عن كتاب "زبدة البيان" للاردبيلي تذكر فيه المؤلف وعصره ومنهجه في الكتاب.